كان [مِنْ] أمر بني قينُقَاعَ أن امرأةً من العرب قَدِمَتْ بِجَلَبٍ[1] لَهَا، فباعته بسوق بني قَيْنُقاعَ، وجَلَسَتْ إلى صَائِغٍ بها، فجعلوا يريدونها عَلَى كَشْفِ وجهها، فأَبَتْ، فَعَمَدَ الصَّائِغُ إلى طَرْفِ ثوبها فَعَقَدَهُ إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سَوْءَتُهَا، فَضَحِكُوا بها، فصاحَتْ، فَوَثَبَ رجُلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًّا، فشَدَّتِ اليهودُ على المُسْلِمِ فقتلوه، فاستصْرَخَ أهلُ المُسْلِمِ المسلمين على يهود، فَغَضِبَ المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

حصار رسول الله بني قينقاع

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: فَحَاصَرَهُمْ رسولُ الله / (١٥٧/ب) ـ ﷺ ـ حتى نزلوا على حُكْمِهِ، فقام إليه عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ٱبْنُ سَلولَ ـ حين أمكنه اللَّهُ منهم ـ فقال: يا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ في مَوَالِي وَكَانُوا حُلَفَاءَ الخَزْرَجِ، قال: فأبطأ عليه رسولُ الله ـ ﷺ ـ فقال: يا مُحمدُ أَحْسِنْ في مَوَالِيْ، قال: فَأَعْرَضَ عنه، فَأَدْخَلَ يَدَه في جَيْبِ دِرْعِ رسول الله ـ ﷺ ـ.

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذاتُ الْفُضُولِ.

رسول الله وعبد الله بن أبي ابن سلول

قال ابن إسحاق: فقال [له] رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَرْسِلْني»، وغَضِبَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ حتى رَأَوْا لوجهه ظُلَلاً[2]، ثم قال: «وَيْحَكَ!! أَرْسِلْني» قَالَ: لاَ واللَّهِ لاَ أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مَوَالِيَّ أَرْبَعُمَائَةٍ حَاسِرٍ[3] وَثَلاَثُمائَةِ دَارِعٍ[4] قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ تَحْصِدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ؟! إِنِّي وَاللَّهِ أَمْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «هُمْ لَكَ» [٥٧٦].

قال ابن هشام: وٱسْتَعْمَلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ على المدينة في مُحَاصَرَتِهِ إياهم بَشِيرَ بن

---

[٥٧٦] أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٨٠) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٧٤) بسنديهما إلى ابن إسحاق به. وانظر البداية والنهاية (٤/ ٥).

---

(١) الجَلَبُ: كُلُّ ما يُجْلَب للأَسْواق لِيُبَاع فيها من إبلٍ وغَنم وغيرهما.

(٢) الظلل: جَمْعُ ظُلَّةٍ وهي السَّحابة في الأصل، فاستعارها هنا لِتَغَيُّر وجه رسول الله ـ ﷺ ـ إلى السَّواد حين اشتدَّ غَضبهُ، ويُرْوى ظِلالاً أيضاً.

(٣) الحاسِرُ: الَّذي لا دِرْعَ له هنا.

(٤) الدَّارِعُ: الذي عليه دِرْعٌ.

عبد الْمُنْذِرِ، وكانَتْ محاصرتُهُ إياهم خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاقُ بْنُ يَسَارٍ، عن عُبَادَةَ بن الوليد بن عبادة بن الصَّامِت، قال: لما حَارَبَتْ بنو قَيْنُقَاع رسولَ الله ـ ﷺ ـ تَشَبَّثَ[1] بأمرهم عبدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وقام دونهم، قال: ومشَىٰ عُبَادَةُ بن الصامت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وكان أَحَدَ بني عَوْفٍ لَهُمْ مِنْ حِلْفِهِ مِثْلُ الذي لهم مِنْ عبد الله بن أبي، فَخَلَعَهُمْ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، وَتَبَرَّأَ إلى الله عز وجل وإلى رسوله ـ ﷺ ـ مِنْ حِلْفِهِم، وقال: يا رسولَ الله، أَتَولَّى الله وَرَسُولَهُ ـ ﷺ ـ والمُؤْمِنينَ وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلاَءِ الكُفَّارِ وَوِلاَيَتِهِمْ، قَالَ: فَفِيهِ [وَفِي] عَبْدِ الله بن أُبَيٍّ نَزلَتْ هذه القصة من المائدة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: كعبد الله بن أبيٍّ، وقوله: إني أخشى الدوائر ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، ثم القصة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وذلك لتولِّي عُبَادَة بن الصَّامت الله ورسولَه والذين آمنوا وَتَبرُّئِهِ من بني قَيْنُقَاعَ وحِلفهم وولاَيَتِهِمْ. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١ ـ ٥٦] [٥٧٧].

سَرِيَّة زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ [إلى] الْقَرَدَةِ [منْ مِيَاهِ نَجْدٍ]

قال ابن إسحاق: وَسَرِيَّةُ زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله ـ ﷺ ـ فيها ـ حين أَصَابَ عِيرَ قُرَيْشٍ، وفيها أبو سفيان بن حَرْبٍ على الْقَرَدَةِ مَاءٍ من مياه نَجْدٍ ـ وكان مِنْ حديثها أن قُرَيْشاً خافوا طريقهم التي كانوا يَسْلُكُونَ إلى الشام ـ حين كان مِنْ وَقْعَةِ بدر ما كان ـ فَسَلَكُوا طريقَ الْعِرَاقِ، فخرج منهم تُجَّارٌ فيهم أبو سفيان بن حَرْبٍ ومعه فِضَّةٌ كثيرةٌ وهي عُظْمُ تجارتهم، واستأجروا رجلاً من [بني] بكر بن وائل يقال له: فُرَاتُ بن حَيَّانَ[2] يَدُلُّهُمْ في ذلك [على] الطريق.

---

[٥٧٧] أخرجه ابن جرير في التفسير (٤/ ٦١٦) رقم (١٢١٦٤) بسنده إلى ابن إسحاق به.
والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٥١٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر في تاريخه.

---

(١) تَشَبَّثَ: معناه أَمْسَك.
(٢) فُراتُ بن حَيَّان: يُرْوى هنا حَيَّانُ وحِبَّانُ، وحَيَّانُ بالياء المثناة النُّقْطِ أَشْهَرُ فيه.

قال ابن هشام: فُرَاتُ بن حَيَّانَ مِنْ بني عِجْلٍ، حليف لبني سهم.

كلمة لحسان بن ثابت يؤنب فيها قريشاً

قال ابن إسحاق: وبعث رسولُ الله ـ ﷺ ـ زَيْدَ بْنَ حارثة، فلقيهم على ذلك المَاءِ، فأصاب تلك الْعِيرَ وما فيها، وأعجزه/ (١٥٨/أ) الرجالُ، فَقَدِمَ بها على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال حَسَّانُ بن ثَابِتٍ بعد أُحُدٍ في غَزْوَةِ بَدْرِ الآخِرَةِ يُؤَنِّبُ قريشاً[1] لأخذهم تلك الطريق [من الطويل]:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّأْمِ قَدْ حَالَ دُونَهَا ... جِلاَدٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الأَوَارِكِ[2]

بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ ... وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلاَئِكِ

إِذَا سَلَكَتْ لِلْغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ ... فَقُولاَ لَهَا: لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنالِكِ[3] [٥٧٨]

قال ابن هشام: وهذه الأبياتُ في أبيات لحسان بْنْ ثابتٍ نَقَضَها عليه أبو سفيانَ بْنُ الحرث بن عبد المُطَّلِبِ، وسنذكرها ونقيضتها، إن شاء الله، في موضعها.

مَقْتَلُ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ [٥٧٩]

قال ابن إسحاق: [وقُتِلَ كَعْبُ بن الأشرف].

وكان من حديثِ كَعْبِ بن الأشرف أنه لما أُصِيبَ أصحابُ بدرٍ، وَقَدِمَ زَيْدُ بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبدُ الله بن رَوَاحَةَ إلى أهل العالية؛ بَشِيرَيْنِ بعثهما رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله ـ عزَّ وجل ـ عليه وقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنَ المشركين ـ كما حدَّثني عبد الله بن المُغِيث بن أبي بُرْدَةَ الظَّفَرِيُّ، وعَبْدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن

---

[٥٧٨] انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٦٦) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٧٠ ـ ١٧١).

وانظر البداية والنهاية (٤/ ٥ ـ ٦).

[٥٧٩] انظر الدلائل (٣/ ١٨٧ ـ ١٩٠) للبيهقي، والطبري في تاريخه (٢/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨).

وانظر البداية والنهاية (٤/ ٦ ـ ٨).

---

(١) يُؤَنِّب قُريشاً: معناه: يَلومُهم.

(٢) الفَلَجاتُ: الأَنهارُ الصِّغَارُ. والجلادُ: المُجالَدةُ في الحرب، والمخاضُ: الإبل الحَوامِلُ، والأَوَارِكُ: الَّتي تَرْعَى الأَرَاكَ وهو شَجَرٌ.

(٣) الغَوْرُ: المُنْخَفِض من الأرض، وعالِجٌ: موضع به رَمْلٌ كثيرٌ. وينظر ديوانه ص (١٦٤)، والبداية والنهاية (٤/ ٦).

عمرو بن حَزْم، وعاصمُ بن عُمَرَ بن قتادة، وصالحُ بن أبي أُمَامَةَ بن سَهْل، كُلٌّ قد حَدَّثني بعضَ حديثه ـ قالوا: قال كعب بن الأشرف ـ وكان رجلاً من طَيِّيء، ثم أحد بني نَبْهَانَ، وكانَتْ أمه من بني النَّضِيرِ ـ حين بلغه الخبر: أَحَقٌّ هذا؟ أتَرَوْنَ محمداً قتل هؤلاء الذين يُسَمِّي هذان الرجلان؟! يعني زَيْداً وعَبْدَ الله بن رَوَاحَةَ، فهؤلاءِ أشرافُ العرب وملوكُ الناس، والله لَئِنْ كان محمّد أصاب هؤلاءِ القومَ لَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهرها، فلما تَيَقَّنَ عَدُوُّ الله الخبر خرج حتى قَدِمَ مكة، فنزل على المطلب بن أبي وَدَاعَةَ بن ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيِّ وعنده عاتكَةُ بنت أبي العِيصِ[1] بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمَتْهُ، وجعَلَ يُحَرِّضُ على رسول الله ـ ﷺ ـ ويُنْشِدُ الأَشْعَارَ، ويَبْكي أصحابَ الْقَلِيبِ من قريشٍ الذين أصيبوا بِبَدْرٍ، فقال [من الكامل]:

طَحَنَتْ رَحَا بَدْرٍ لِمُهْلَكِ أَهْلِهِ ... وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَعُ[2]

قُتِلَتْ سَرَاةُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ ... لاَ تَبْعَدُوا؛ إِنَّ الْمُلُوكَ تُصَرَّعُ[3]

كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهِ مِنَ أَبْيَضَ مَاجِدٍ ... ذِي بَهْجَةٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الضُّيَّعُ[4]

طَلْقِ الْيَدَيْنِ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْلَفَتْ ... حَمَّالِ أَثْقَالٍ يَسُودُ وَيَرْبَعُ[5]

وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أُسَرُّ بِسُخْطِهِمْ: ... إِنَّ ابْنَ الاشْرَفِ ظَلَّ كَعْباً يَجْزَعُ

صَدَقُوا فَلَيْتَ الأَرْضَ سَاعَةَ قُتِّلُوا ... ظَلَّتْ تَسُوخُ بِأَهْلِهَا وَتَصَدَّعُ[6]

صَارَ الَّذِي أَثَرَ الْحَدِيثَ بِطَعْنَةٍ ... أَوْ عَاشَ أَعْمَى مُرْغَشاً لاَ يَسْمَعُ[7]

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي الْمُغِيرَةِ كُلَّهُمْ ... خَشَعُوا لِقَتْلِ أَبِي الْحَكِيمِ وَجُدِّعُوا[8]

---

(١) عِنْدَهُ عاتِكَةُ بنتُ أبي العِيصِ. كذا وقع هنا ورَواه الخَشَنِيُّ: بنت أبي العاصي، والصَّواب بنتُ أبي العيص.

(٢) رَحَى الحرب: مُعْظَمُها ومُجْتَمع القِتال مِنْها، وتَسْتَهِلُّ: تَسِيلُ بالدَّمع، يقال: اسْتَهَلَّ المَطَرُ والدَّمْعُ: إذا سالا.

(٣) سَراةُ القوم: خِيارُهم. والحِياضُ: جَمْعُ حَوْضٍ.

(٤) الماجدُ: الشَّريف، والبَهْجَةُ: حُسْنُ الظاهِر. والضُّيَّعُ: جَمْعُ ضائِع وهو الفقير.

(٥) طَلْقُ اليَدَيْن: يعني: كَثِيرَ المعروف. أَخْلَفَتْ أي: لم يكن معها مَطَر، على ما كانت العربُ تَنْسُبُ إلى هذه الكواكِب. يَرْبَعُ: أي: يأخُذُ الرُّبْعَ، يقال: رَبَعَ الرجُلُ، إذَا كان رئيساً، وكان الرئيس يأخذ الرُّبْعَ منَ الغَنِيمة في الجاهلية.

(٦) يتَصَدَّع: يَتَشَقَّقُ.

(٧) أَثَرَ الحديث أي: حَدَّث به فأشاعَه.

(٨) جُدِّعوا، أي: قُطِعَت آنافُهم، وأَراد به هنا ذَهَبَ عِزُّهُم، ومَنْ رواه: جُزِعُوا بالزاي، فمعناه: أُخيفوا وأحزنوا.

وَأَبْـنَـا رَبِـيـعَـةَ عِـنْـدَهُ وَمُـنَـبِّـهٌ ... مَـا نَـالَ مِـثْـلَ الْـمُـهْـلَـكِـيـنَ وَتُـبَّـعُ[1]

نُـبِّـئْـتُ أَنَّ الْـحَـارِثَ بْـنَ هِـشَـامِـهِـمْ ... فِي النَّاسِ يَبْنِي الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ

لِـيَـزُورَ يَـثْـرِبَ بِـالْـجُـمُـوعِ وَإِنَّـمَـا ... يَحْمِي عَلَى الْحَسَبِ الْكَرِيمُ الأَرْوَعُ[2]

قال ابن هشام: قوله «تُبَّع» و «أُسَرُ بِسُخْطِهِمْ» عن غير بن إسحاق.

كلمة حسان بن ثابت يرد على كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق: فأجابه حَسَّانُ بن ثَابِتٍ الأنصاريُّ ـ رضي الله عنه ـ فقال [من الكامل]:

إِنْـكِ لِـكَـعْـبٍ ثُـمَّ عُـلَّ بِـعَـبْـرَةٍ ... مِـنْـهُ وَعَـاشَ مُـجَـدَّعـاً لاَ يَـسْـمَـعُ[3]

وَلَـقَـدْ رَأَيْـتُ بِـبَـطْـنِ بَـدْرٍ مِـنْـهُـمُ ... قَـتْـلَـى تَـسُـحُّ لَـهَـا الْـعُـيُـونُ وَتَـدْمَعُ[4]

فَـابْـكِـي فَـقَـدْ أَبْـكَـيْـتَ عَـبْـداً رَاضِـعـاً ... شِبْهَ الْـكُـلَـيْـبِ إِلَـى الْـكُـلَـيْـبَـةِ يَـتْـبَـعُ[5]

وَلَـقَـدْ شَـفَـى الـرَّحْـمَـنُ مِـنَّـا سَـيِّـداً[6] ... وَأَهَـانَ قَـوْمـاً قَـاتَـلُـوهُ وَضُـرِّعُـوا/ (١٥٨/ب)

وَنَـجَـا وَأَفْـلَـتَ مِـنْـهُـمُ مَـنْ قَـلْـبُـهُ ... شَـعَـفٌ يَـظَـلُّ لِـخَـوْفِـهِ يَـتَـصَـدَّعُ[7]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنْكِرُها لحسان، وقوله «إِنْكِ لِكَعْبٍ» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وَقَالَتِ امرأةٌ من المسلمين ـ من بني مُرَيْدٍ[8] بطنٍ من بَلِيٍّ كانوا حلفاءَ من بني أمية بن زَيْدٍ يقال لهم: الْجَعَادِرَةُ ـ تُجيب كعباً.

---

(١) تُبَّعٌ: مَلِكٌ من ملوك اليَمَن.

(٢) الأَرْوَع: الَّذي يَرُوع بِحُسْنِه وجَمالِهِ. وذكر البيت الأول في البداية والنهاية (٤/ ٧). وينظر أنساب الأشراف (١/ ٢٨٤).

(٣) عُلَّ أي: كُرِّر عليه، مأخوذٌ مِنَ العَلَلِ وهو الشُّرْبُ بعد الشُّرْب، والعَبْرَةُ: الدَّمْعَةُ، ومُجَدَّعٌ: مقطوعُ الأنفِ.

(٤) تَسُحُّ: تَصُبُّ الدَّمْعَ. يقال: سَحَّ المطرُ والدمعُ: إذَا جَرَيا.

(٥) الراضع: اللئيمُ.

(٦) يعني بالسَّيد هنا: النبيَّ عليه السلام.

(٧) شَعِفٌ: من رواه بالعين المهملة، فمعناه: مُحْتَرِقٌ مُلْتَهِبٌ. ومن رواه بالغين المعجمة فمعناه: بَلَغ الحُزْنُ إلى شَغافِ قَلْبِه. والشَّغاف: حِجَاب القَلْب، ويَتَصَدَّع أي: يَتَشَقَّقُ. وينظر ديوانه ص (٣٩٠).

(٨) من بَني مُرِيد: يُروى هنا: مُرَيْد ومُريد بفتح الراء وكسرها، ومُرَيْد بفتحها هو الصَّواب.

ميمونة بنت عبد الله تجيب كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق: اسمها: مَيْمُونَةُ بنْتُ عبد الله؛ وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرُ هذه الأبياتَ لها، وينكر نقيضها لكَعْبِ بن الأشرف [من الطويل]:

تَحَنَّنَ هٰذَا الْعَبْدُ كُلَّ تَحَنُّنِ ... يُبَكِّي عَلَىٰ قَتْلَىٰ وَلَيْسَ بِنَاصِبِ[1]

بَكَتْ عَيْنُ مَنْ بَكَّىٰ لِبَدْرٍ وَأَهْلِهِ ... وَعُلَّتْ بِمِثْلَيْهَا لُؤَيُّ بْنُ غَالِبِ[2]

فَلَيْتَ الَّذِينَ ضُرِّجُوا بِدِمَائِهِمْ ... يَرَىٰ مَا بِهِمْ مَنْ كَانَ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ[3]

فَيَعْلَمَ حَقًّا عَنْ يَقِينٍ وَيُبْصِرُوا ... مَجَرَّهُمُ فَوْقَ اللُّحَىٰ وَالْحَوَاجِبِ[4]

كعب بن الأشرف يجيب ميمونة بنت عبد الله

فأجابها كعب بن الأشرف، فقال [من الطويل]:

أَلاَ فَازْجُرُوا مِنْكُمْ سَفِيهاً[5] لِتَسْلَمُوا ... عَنِ الْقَوْلِ يَأْتِي مِنْهُ غَيْرَ مُقَارِبِ

أَتَشْتُمُنِي أَنْ كُنْتُ أَبْكِي بِعَبْرَةٍ[6] ... لِقَوْمٍ أَتَانِي وُدُّهُمْ غَيْرَ كَاذِبِ؟!

فَإِنِّي لَبَاكٍ مَا بَقِيتُ وذَاكِرٌ ... مَآثِرَ قَوْمٍ مَجْدُهُمْ بِالْجَبَاجِبِ[7]

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مُرَيْدُ بِمَعْزِلٍ ... عَنِ الشَّرِّ فَاحْتَالَتْ وُجُوهَ الثَّعَالِبِ[8]

فَحَقُّ مُرَيْدٍ أَنْ تُجَذَّ أُنُوفُهُمْ ... بِشَتْمِهِمُ حَيَّيْ لُؤَيُّ بْنِ غَالِبِ[9]

---

(١) تَحَنَّنَ هَذَا العَبْدُ كُلَّ تَحَنُّن. مَنْ رواه بالنون فهو الحَنان، وهو: الرَّحمة والرِّقة، ومَن رواه بالياء فهو: من الحَيْن، وهو الهَلاَك. والناصِبُ هنا: المُعْيي.

(٢) عُلَّت: أي: كُرِّرَت.

(٣) ضُرِجوا: أي لُطِخوا. تقول: ضَرَّجْتُه بالدم إذا لَطَّخْتَهُ به. الأَخْشَبان: جَبَلان بـ «مكَّة»، وجَمَعَهما هنا مع ما حَوْلهما.

(٤) مَجَرَّهُمْ: رواه بالجيم فهو من الجَرّ، ومَن رواه بالحاء المهملة والزاي، فهو من الحَزّ بالسيوف وهو القَطْعُ بها.

(٥) إنَّما ذَكَر السفِيهَ هنا مُذَكِّراً في اللفظ، وهو يُريد به المَرْأة الَّتي أجابَها؛ لأنَّه حَمَل ذلك على معنى الشَّخص، والشَّخص مُذَكَّر يَقَع على الذَّكر والأُنثَى.

(٦) العَبْرة: الدَّمْعَة وقد تقدَّم.

(٧) المآثر: ما يُتَحَدَّث به من الأفعال الحَسَنَةِ. والمَجْدُ: الشَّرَف. والجَباجِبُ: مَنازِلُ مَكَّة.

(٨) مُرَيْدٌ: قبيلة من طيء. فاحْتالت: من رواه بالجيم فمعناه: تحَرَّكت، يُقال: جال الشيء يجول إذا تَحَرَّك ذاهباً وراجِعاً، ومن روَاه بالحاء المهملة فمعناه: تَغَيَّرت، يقال: حَالَ الرَّبْعُ والمكانُ إذَا تَغَيَّرا. ومَنَ رواه بالخاء المُعجمة: فهو من الخُيَلاء، وهو الإعجاب والزَّهْو، وجُوهَ الثَّعالِب: هو منصوبٌ على الذَّمِّ.

(٩) تُجَذُّ بالذال والدال، معناهما: جميعاً: تُقْطَع.

وَهَبْتُ نَصِيبِي مِنْ مُرَيْدٍ لِجَعْدَرٍ وَفَاءً، وَبَيْتِ اللَّهِ، بَيْنَ الأَخَاشِبِ[1]

ثم رَجَعَ كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّبَ بنساء المسلمين[2] حتى آذاهم، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ كما حدثني عبد الله بن المُغِيث بن أبي بُرْدَةَ ـ: «مَنْ لِي بِابْنِ الأَشْرَفِ؟» فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ: أَنَا لَكَ [بِهِ] يَا رَسُولَ الله، أَنَا أَقْتُلُهُ، قَالَ: «فَافْعَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ» فرجع محمد بن مَسْلَمَة، فمكثَ ثلاثاً لا يأكلُ ولا يشربُ إلاَّ ما يُعْلِقُ [به] نَفْسَهُ، فَذُكِرَ ذلك لرسُولِ الله ـ ﷺ ـ فدعَاهُ فقال له: «لِمَ تَرَكْتَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟» فقال: يا رسولَ الله، قُلْتُ لك قَوْلاً لا أَدْرِي هل أَفِيَنَّ لك به أم لا! فقال: «إِنَّمَا عَلَيْكَ الْجَهْدُ» قال: يا رَسُولَ الله، إِنَّهُ لا بُدَّ لنا من أن نَقُول، قال: «قُولُوا مَا بَدَا لَكُمْ؛ فَأَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ ذٰلِكَ» فاجتمع في قتله محمدُ بْنُ مَسْلَمَة وسِلْكَانُ بن سَلاَمَةَ بن وَقَش، وهو أبو نائلة أحدُ بني عبد الأشهل، وكان أخا كَعْبِ بن الأشرف من الرَّضَاعَةِ، وعَبَّادُ بن بِشْرِ بن وَقَشٍ أَحَدُ بني عبد الأشهل، والحَرثُ بن أوس بن معاذٍ أحدُ بني عبد الأشهل، وأبو عَبْسِ بنُ جَبْرٍ أحدُ بَني حارثة، ثم قَدَّمُوا إلى عَدُوِّ الله كعب بن الأشرف قبل أن يأتوه سِلْكَانَ بن سلامة أبا نائلة، فجاءه، فتحدَّثَ معه ساعَةً، وتناشدا شِعْراً، وكان أبو نائلة يقولُ الشعر، ثم قال: وَيْحَكَ يا ابن الأشْرَفِ!! إني قد جئتك لحاجةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لك فَاكْتُمْ عني، قال: أَفْعَلُ، قال: كان قُدُومُ هذا الرجلِ علينا بَلاَءً من البلاءِ، عَادَتْنَا [به] العَرَبُ، ورَمَتْنَا عن قَوْسٍ واحدةٍ، وقَطَعَتْ عنا السُّبُلُ[3]، حتى ضاع العِيَالُ، وجُهِدَتِ الأنفس[4]، وأصبحْنَا قد جُهِدْنَا وجُهِدَ عيالُنَا، فقال كعب: أنا ابن الأشرف، أَما واللَّهِ لقد كُنْتُ أخبرك يا ابن سلامة أن الأمْرَ سَيَصِيرُ إلى ما أقول، فقال له سِلْكَانُ: إني قد أَرَدتُ أن تَبِيعَنَا طَعَاماً ونَرْهَنَكَ وَنُوَثِّقُ لَكَ وتُحْسِنَ في ذلك، فقال: أَتَرْهَنُونَنِي أبناءَكُمْ؟! قال: لقد أردتَّ أن تفضحنا، إنَّ معي أصحاباً لي على مثل رأيي، وقد/ (١٥٩/أ) أردتُ أن آتيك بهم فتبيعهم وتُحْسِنَ في ذلك ونَرْهَنَكَ من الْحَلَقَة[5] ما فيه وَفَاءٌ، وأراد سِلْكَانُ ألاَّ ينكر السلاحَ إذا جاءوا بها، قال: إنَّ في الْحَلَقةِ لَوَفَاءً، قال: فرجع سِلْكَانُ إلى أصحابه،

---

(١) جَعْدَرٌ: قبيلةٌ وهي مُرَيْدٌ بعَينها.

(٢) فَشَبَّب بِنساءِ المُسلمين، أي: تَغَزَّل فيهنَّ وذكرهُنَّ في شِعره.

(٣) السُّبُل: جَمْعُ سَبيل، وهو الطَّريق.

(٤) جُهِدَتِ الأنفُس، أي: بَلَغَ منها الجَهد وهو المَشَقَّةُ.

(٥) الحَلَقَةُ هنا: السِّلاحُ كُلُّه، وأَصْلُه في الدُّروع، ثُمَّ سُمِّي السِّلاحُ كلُّه حَلَقَةً.

فأخبرهم خبره، وأمَرَهُمْ أن يأخذوا السّلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ـ ﷺ ـ [٥٨٠].

قال ابن هشام: ويقال: [قال]: أتَرْهَنُوني نِسَاءَكُمْ؟ قال: كيف نَرْهَنُك نساءَنا وأنت أشَبُّ أهْلِ يثرب وأعْطَرُهُمْ؟! قال: أترهنوني أبناءكم؟

قال ابن إسحاق: فحدثني ثَوْر بن زَيْدٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: مَشَى معهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، ثم وَجَّهَهُمْ، فقال: «انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ الله، اللَّهُمَّ أعِنْهُمْ» ثم رجع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى بيته، وهو في ليلة مُقْمِرَةٍ، وأقبلوا حتى انْتَهَوا إلى حِصْنِهِ، فهتف به أبو نائلة، وكان حديثَ عَهْدٍ بعُرْسٍ، فوثب في مِلْحَفَتِهِ، فأخَذَتِ امرأته بناحيتها، وقالَتْ: إنَّكَ امرؤٌ مُحَارِبٌ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة، قال: إنه أبو نَائِلَةَ، لو وَجَدَنِي نائماً لما أيقَظَنِي، فقالت: واللَّهِ إنِّي لأعْرِفُ في صوته الشَّرَّ، قال: يقول لها كَعْبٌ: لَوْ يُدْعَى الفَتَىٰ لِطَعْنَةٍ لأجاب، فنزل فتحدَّثَ معهم ساعةً وتحدَّثوا معه، ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أنْ تَتَمَاشَىٰ إلى شِعْبِ الْعَجُوزِ[1] فنتحدَّث به بقيَّةَ ليلتنا هذه؟ قال: إن شِئْتُمْ، فخرجوا يتماشَوْنَ فمشَوْا ساعَةً، ثم إن أبا نائلة شَامَ يَدَهُ في فَوْدِ رأسه[2]، ثم شَمَّ يَدَهُ، فقال: ما رأيْتُ كالليلة طِيباً أعْطَرَ قَطُّ، ثم مشَىٰ ساعةً، ثم عاد لمثلها حَتَّى اطمأنَّ، ثم مشَى ساعة، ثم عاد لمثلها فأخَذَ بِفَوْدِ رأسِهِ، ثم قال: اضْرِبُوا عَدُوَّ الله، فضربوه، فاختَلَفَتْ عليهم أسيافهم فلم تغن شيئاً، قال محمد بن مسلمة: فذكرت[3] مِغْوَلاً في سيفي حين رَأيْتُ أسيافنا لا تُغْنِي شيئاً، فأخذته، وقد صاح عدوُّ الله صَيْحَةً لم يبق حولنا حِصْنٌ إلاَّ [وقد] أوقدت عليه نار، قال: فوضعته في ثُنَّتِهِ[4]، ثم تحاملْتُ عليه حتى بلغْتُ عانته، فوقع عدوُّ الله، وقد أصيبَ الحرث بن أَوْسِ بن مُعَاذٍ فَجُرِحَ في رأسه أو في رجله، أصابه بعضُ أسيافنا، قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قُرَيْظَةَ، ثم على بُعَاثٍ حتى أسْنَدْنَا[5] في حَرَّةِ

---

[٥٨٠] أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/١٩٩) بسنده إلى ابن إسحاق به.

---

(١) الشِّعْب: الفُرْجَةُ بين جَبَلَيْن.

(٢) شامَ يدَه في فَوْد رأسِهِ: معناه أدْخَل يَده في شَعَره. يُقال: شِمْتُ السيفَ: إذا أغمدْتَه، وإذا سَلَلْتَه، وهو من الأضْداد، وفَوْد الرأس: الشَّعَر الَّذي إلى جانب الأذن.

(٣) المِغْوَل بالغين المعجمة: هو السِّكِّين الَّذي يكون غمْدُهُ في السَّوْط.

(٤) الثُّنَّة: ما بين السُّرَّة والعانة.

(٥) أسْنَدْنا معناه: ارْتَفَعْنا.

الْعُرَيْضِ[1]، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرثُ بن أَوْسٍ، وَنَزَفَهُ الدم[2]، فوقفنا له ساعةً ثم أتانا يَتْبَعُ آثارَنَا، قال: فاحتملناه، فجئنا به رسول الله - ﷺ - آخِرَ الليل، وهو قائمٌ يصلِّي، فسلَّمْنَا عليه، فَخَرَجَ إلينا فأخبرناه بِقَتْلِ عدو الله وتَفَلَ[3] على جرح صاحبنا، فرَجَعَ، ورجعنا إلى أهلنا؛ فأصبحنا وقد خافَتْ يهود لِوَقْعَتِنَا بعدوِّ الله، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يَخَافُ على نفسه [٥٨١].

قال ابن إسحاق: فقال كعب بن مالك [من الوافر]:

فَغُودِرَ مِنْهُمُ كَعْبٌ صَرِيعاً ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ[4]

عَلَى الْكَفَّيْنِ ثَمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ[5]

بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً ... إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ

فَمَا كَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ... وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ[6]

قال ابن هشام: وهذه الأبياتُ في قصيدة له في يوم بني النضيرِ سأذكرها/ (١٥٩/ب) إن شاء الله في حديث ذلك اليوم.

كلمة لحسان بن ثابت في قتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق: وقال حَسَّان بن ثابت يذكر قَتْل كَعْبِ بن الأشرف وقَتْلَ سَلاَّم بْنِ أبي الْحُقَيْقِ [من الكامل]:

لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ[7] لاَقَيْتَهُمْ ... يَا ابْنَ الْحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ

---

[٥١١] انظر البداية والنهاية (٤/ ٩).

وروى أحمد (١/ ٢٦٦) والحاكم (٢/ ٩٨) واسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية رقم (٤٣١١) والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢١) رقم (١١٥٥٤) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٩٦):

«وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح».

قلت: وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

---

(١) قال الخشني وفي رواية: الحَرَّة: أَرضٌ فيها حِجَارةٌ سُودٌ، والعُرَيْضُ: موضع.

(٢) نَزَفَه الدَّمُ، معناه: أَضْعَفَه بِكَثْرَة سَيَلانِهِ.

(٣) تَفَل بالتاء المثناة النُّقْط: معناه بَصَقَ.

(٤) غُودِر أي: تُرِك، والنَّضِيرُ: قبيلةٌ من يَهود المدينة.

(٥) مُشَهَّرةً يعني: سُيوفاً مُجَرَّدةً في أغمادِها.

(٦) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٩).

(٧) العِصابةُ: الجماعةُ.